المقالة الرابعة[1]
أهمية الصفاء في جهة الولاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنّ الله تعالىٰ قد خلق كل إنسان علىٰ أصل السلامة من الانحراف عن مقتضى الفطرة التي هي حالة الشيء عند أول خلقته، وهي الحالة التي يكون الإنسان فيها منسجماً مع الكائنات من حوله لمشاركته إياها في الخضوع الطبيعي لله تعالىٰ الذي يسجد له من في السموات والأرض سجوداً قسرياً وخضوعاً طبيعياً كما قال تعالىٰ: **﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾**[2] وذلك لانضباط هذه المخلوقات بكلمة الله تعالىٰ الكونية التي تتعلق بها صفة القدرة الإلهية والتي لا تتخلف بحال من الأحوال لأن الله تعالىٰ علىٰ شيء قدير **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾**[3].

---

(١) شهر ربيع الثاني سنة ١٤١٤ هـ.

(٢) سورة الرعد: آية ١٥٠.

(٣) سورة النحل: آية ٤٠.

ولكن الإنسان من بين هذه المخلوقات هو الذي أعطاه الله تعالىٰ حرية الإرادة والاختيار وأعطاه القدرة علىٰ تنفيذ ما أراده والعمل بما اختاره كما قال تعالىٰ: ﴿**إنا عرضنا الأمانة علىٰ السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا**﴾[1] فكان من الناس من حمل هذه الأمانة بصدق وقوّة، ومنهم من تخلىٰ عنها وخانها فلم يخضع لله تعالىٰ الخضوع الاختياري وراح يتبع ما يوسوس له به الشيطان كما قال تعالىٰ: ﴿**ألم ترَ أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حقّ عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إنّ الله يفعل ما يشاء**﴾[2] فيفسد الشيطان بوساوسه علىٰ المتمردين علىٰ الله تعالىٰ قلوبهم بإدخال العقائد الفاسدة عليها ويفسد عليهم ألسنتهم بإغرائهم بالفاحش من القول كما يفسد عليهم جوارحهم بترغيبهم في سلوك طريق الانحراف عن الأحكام التشريعية والتوجيهات الأخلاقية الإلهية لينحرفوا بذلك عن مقتضىٰ الفطرة والسلامة التي خلقهم الله تعالىٰ عليها كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٢.

(٢) سورة الحج: آية ١٨.

فاجتالتهم الشياطين عن دينهم)[1].

فالفطرة تقتضي السلامة من الانحراف العقائدي والسلوكي والأخلاقي وكلما كان المرء أكثر استقامة كلما كان أقرب إلىٰ الفطرة حتىٰ يصبح بها صافي القلب من كدر العقائد الفاسدة، وسليم اللسان من الأقوال الكاذبة وصحيح الجوارح من الآفات المضللة، فيكون صاحبها ينظر بنور الله تعالىٰ لشدّة صفاء نفسه في أبعادها الثلاثة: القلب واللسان والجوارح ويصبح بذلك محل العناية به والالتفاف حوله والأخذ عنه والرجوع إليه والاهتمام بشأنه لينعكس صفاء نفسه عليهم خيراً وبهم برّاً ولهم سرّاً فيألفهم ويألفونه ويستأهل بذلك أن يكون فيهم بمنزلة الرأس من الجسد ويستحق عليهم التقديم والاعتبار والمحبة والانتصار، وليصبح لهم سياجاً يرفع عنهم الله به المفاسد والأخطار. والله المستعان.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده انظر فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٢٢٦ عند تفسير قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً**﴾.